

## شاهد القراءات القرآنية عند السيوطي

وعلماء اللغة القدامى

دراسة صوتية فنولوجية

الدكتور يحيى القاسم

قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة مئوية ، الأردن



تاريخ قبوله للنشر ١٩٩٢ / ٤ / ١٣

تاريخ استلام البحث ١٩٩٢ / ٩ / ٢٢

### ABSTRACT

Suyuti's use of evidence from Various Quranic Readings : A phonological study.

This research aims at revealing Al- suyuti Various ways of argumentation by using the Qunanic Readings in order to prove his claims about phonological issues.

I have limited this research to the discussion of the phonological issues rather than to syntactical, morphological, or the semantical issues.

The phonological problems are divided by modern linguists to problems related to Vowels (harakat), laws of language development in addition to Arabic dialects and phonologic change.

I have studied the above subjects in the light of what has been reached by the modernists using contemporary research methods.

I hope that this research has covered most of the phonetical issues and that it has added to the library of AL- Suyuti some thing which might reveal his scientific program.

### ملخص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أوجه احتجاج السيوطي بالقراءات القرآنية لدعم ما يذهب إليه في القضايا الصوتية، وقد قصرنا بحثنا هذا على هذه القضايا لسعة الموضوع فيما لو أدخلنا فيه التواхи النحوية والصرفية والدلالية.

وقد قسم البحث القضايا الصوتية وفق ما يراه علماء اللغة المعاصرون إلى قضايا تتعلق بالحركات وقوانين التطور اللغوي بالإضافة إلى اللهجات العربية والإبدال الصوتي ثم درسنا هذه الأبواب في ضوء ما وصل إليه المعاصرون من مناهج حديثة في البحث اللغوي، راجياً أن يكون هذا البحث قد غطى القضايا الصوتية وأن يكون قد أضاف إلى مكتبة العالم السيوطي شيئاً قد يساعد في كشف منهجه

العلمي

يُعدُّ السيوطي (ت ٩١١ هـ)<sup>(١)</sup> أشهر عالم موسوعي في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجريين، ولستنا بصدده الحديث عن حياة هذا العالم العربي الكبير، فالذين تحدثوا عنه كثيرون، في القديم والحديث، ومؤلفاته الكثيرة تملأ المكتبات العامة والخاصة، وربما لا نجد باحثاً واحداً في علوم العربية أو علوم القرآن لم يعتمد مرجعاً أو أكثر من مؤلفات هذا العالم الكبير.

### موقفه من القراءات القرآنية

يُعدُّ السيوطي من أصحاب الاتجاه المُنْصِف بشأن قبول القراءات، فقد تكون اتجاه بين علماء القراءات والعربية مؤداه أن القراءات المتواترة هي القراءات السبع، وأمام هذه القراءات الثلاثة المُتَّمَّمة للعشر فهي أخبار آحاد، حتى إذا كانت صحيحة السند، وأمام ما عدا ذلك من قراءات فأحرف شاذة لا يجوز القراءة بها في الصلاة، وإن كانت تمثل أنماطاً لغوية صحيحة وشاهدة على الظواهر اللغوية المتعددة.

وقد عاش في النصف الأول من القرن التاسع عالم جليل، صاحب شخصية قوية في مجال القراءات، وكان من أكثر المنصفين في الدفاع عن القراءات الصحيحة المتواترة وغير المتواترة، ذلك هو محمد بن محمد بن الجوزي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ، وليس مؤلفاته في هذا الميدان بالقليل أو المجهولة، ولعل أشهرها كتابه النفيس (النشر في القراءات العشر)، وقد وصفه جلال الدين السيوطي في حديثه عن القراءات القرآنية، بأنه شيخ شيوخه، ولا عجب أن ينقل تعريفه للقراءة الصحيحة، ولذلك فالقراءةُ الصحيحة عند السيوطي هي القراءة الصحيحة عند ابن الجوزي تماماً، وهي كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها، وقراءة تحمل هذه الشروط لا يجوز إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ويجب على الناس قبولها سواء أكانت مروية عن الأئمة السبعة أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عن من هو أكبر منهم<sup>(٢)</sup>.

وأما صحة السند فإن تُرْوَى القراءةُ عن العدل الضابط عن مثله حتى منتهى السند،

وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له، غير معدودة عندهم من الغلط، أو مما شذّ به بعضهم<sup>(٣)</sup>. وانطلاقاً من هذا الموقف فقد عمد السيوطي إلى الاستشهاد بالقراءات القرآنية، ما عدّ متواتراً عند غيره وما عدّ شاذًا منها، لدعم بعض ما يراه أو لتأييد حكم قبله، وقد قمنا في هذا البحث القصير بتبني القراءات القرآنية في مؤلفاته اللغوية المشهورة، وعلى رأسها هم الهوامع والأشباه والنظائر.

وقد وجדنا بعد تكامل مادة البحث أن ما توافر لدينا من شواهد على القضايا الصوتية يحتاج إلى بحث خاص، وكذلك ما وجد من شواهد على النواحي الصرفية والتركيبية والدلالية. ولذا فقد خصصنا هذا البحث القصير للحديث عن الأصوات حيث سندرج القضايا التي استشهد بها وندرسها في ضوء ما توصلت إليه الدراسات المعاصرة. وقد رأينا أنها قد اندرجت تحت عناوين رئيسة وهي :-

- ١ - ما يتعلّق بالحركات.
- ٢ - ما يتعلّق بقوانين التَّطُورِ اللُّغويِّ.
- ٣ - ما يتعلّق بالألقاب اللهجات العربية.
- ٤ - ما يتعلّق ببعض مظاهر الإبدال الصَّوْتِيِّ.

#### **أولاً : ما يتعلّق بالحركات**

ولهذا القسم التفريعات التالية:-

#### **أ - إشباع الحركة القصيرة**

وهذا الإشباع غير شائع في المستوى الفصيح من اللغة العربية، غير أنه وُجِدَ في اللهجات العربية، وبالتالي فقد تسرب إلى القراءات القرآنية، وقد ذكر السيوطي أن جمهور العلماء عَدَّ هذا الأمر مختصاً بالضرورة، وهو رأي سيبويه<sup>(٤)</sup> كما ذكر أن بعض العلماء قد أجاز هذه الظاهرة في سعة الكلام، وأنه لغةً لبعض العرب، وَخَرَجَ على هذا الرأي قراءة : «لا تخفْ دركاً ولا تخشِ»<sup>(٥)</sup>. وهي قراءة حمزة، حيث جزم على النهي<sup>(٦)</sup>. وينبغي أن تكون (ولا تخشِ) عطفاً على (لا تخف)، وبهذا يجب أن تكون مجزومة، أي (ولا تخش)، غير أن القارئ أشبع الحركة، كما في قوله تعالى : «إنه من يتقِ ويصبر»<sup>(٧)</sup>. فقد رُويَ عن قنبيل أنه

قرأ : (من يتقى) بالياء<sup>(٨)</sup> وقد وهم السيوطي والقدماء عندما عدوا هذا الإشباع ياء؛ لأنهم نظروا إلى الخط ولم ينظروا إلى قيمته الصوتية، ولذا فقد قرروا أنه مجزوم بحذف حركة مقدرة<sup>(٩)</sup>. وقد لمسنا في هذا المثال مقدار التردد في رأي السيوطي حيث نزعته النحوية جعلته يذكر رأي النحوين في أن الإشباع ضرورة، ويدرك رأي بعض العلماء الذين أجازوا الإشباع في سعة الكلام، وفي غالب الأمر فإن هذا الرأي يخص الجمهور من علماء السلف الذين كانوا يدافعون عن القراءات القرآنية بحرارة بالغة، ووصفوا أي رأي يرفض الإشباع في القرآن الكريم أو القراءات القرآنية بأنه رأي لا يَعُول عليه؛ لأن النقلة الذين نقلوا القراءات كانوا من أعلم الناس بالقراءة ووجوهاها، ولا يمكن أن يفضي بهم الجهل إلى أن يعتقد فيهم مثل هذا<sup>(١٠)</sup>. ولم نر جلال الدين السيوطي يتَّخِذ موقفاً صريحاً من رأي النحوين الذين خصوا هذا الأمر بالضرورة، لأن القرآن لا ضرورة فيه، فموقفه من الرأي النحوي موقف متعدد لأن النزعة النحوية يمكن أن تكون تَغَلَّبَتْ على موقفه من القراءات، وإن كان أجاز هذه القراءة.

### بـ الأسماء والحركات المنزقة

الأصل في الكلمة العربية أن تتمشى مع النظام المقطعي الذي اتخذته اللغة العربية، ولكن يحدث أحياناً أن تنزلق حركة ما، وهي في الغالب الكسرة أو الضمة، فتغير ترتيب المقاطع في البنية الصرفية، ويحدث هذا الأمر في الأعم في اللهجات القديمة والحديثة.

إن هذه الحركة لم توجد في اللغة الأدبية المشتركة، غير أنها وُجِدَتْ في بعض القراءات التي عَدَّها العلماء شاذةً، وربما سَرَّبَتْ إلى القراءات بفعل تأثير لغات العرب ولهجاتهم، وقد ذكر السيوطي هذه الظاهرة واستشهد عليها ببعض الموضع ومنها :-

في قوله تعالى : «والعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ»<sup>(١١)</sup> فقد روى عن أبي المنذر سلام ابن سليمان الطويل أنه قرأ : والعَصْرِ : بكسر الصاد، وهذا لا يجوز إلا في الوقف، وقد عَدَّه ابن مجاهد من قبيل نقل الحركة حيث نَقَلَ حركة الراء إلى الصاد<sup>(١٢)</sup>، وهذا ما أطلق عليه السيوطي مصطلح : (الوقوف بالنقل).

كما استشهد السيوطي بقوله تعالى : «وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ»<sup>(١٣)</sup> فقد روى أن أبا عمرو

ابن العلاءقرأ : بالصَّبْرِ، بكسر الباء والوقوف على الراء<sup>(١٤)</sup>. إن انزلاق هذه الحركة، سواء كانت الكسرة كما في هذه الأمثلة أو الضمة كما في غيرها من الأمثلة ما هو إلا ميلٌ من اللغة العربية إلى ما يشبه الظاهرة العامة، ودليلنا على ذلك أن اللهجات الحديثة في الأردن وفلسطين على سبيل المثال تستعمل هذه الحركة على هيئة ظاهرة مطردة، إذ يقولون: الصبر والصبر والكفر، والأكل والسمن والشُرب، والرَّبِطُ والرَّبِطِ، وهكذا.

ومن الأمثلة التي يمكن أن نسوقها على انزلاق الضمة ما جاء في قوله تعالى : «ستنقى في قلوب الذين كفروا الرُّغْبَ»<sup>(١٥)</sup> فقد قرأ ابن عامر والكسائي : الرُّغْب بضم العين وقرأ باقي السبعة بسكونها، وقد ردَّ بعض العلماء الأمر إلى لغات العرب ورَدَّه آخرون إلى الإتباع، فالاصل في هذه الحالة هو إسكان العين كالصُّبْحُ والصُّبْحُ<sup>(١٦)</sup> ومنها أيضاً : السُّحْتُ والسُّحْتُ. فالاصل فيها السكون وجاء الضم إتباعاً أو أن هذه الضمة مما يمكن أن نعدُّه حركات منزلقة.

وهذه الظاهرة ليست خاصة باللهجات العربية القديمة أو الحديثة، بل يوجد لها ما يناظرها في غير العربية من اللغات السامية، فهي موجودة في اللغة العربية فيما يسميه علماء الساميات : الأسماء السيجولية التي يطرأ عليها في حالة الإفراد حركة تناسبها مثل *mē leh*، أي ملك، *dē reh* أي : طريق، فالكسرة القصيرة الممالة، بعد اللام والراء في هاتين الكلمتين هي كسرة منزلقة<sup>(١٧)</sup>.

وقد فسر الدكتور إبراهيم أنيس هذه الظاهرة بعيداً عن اللغات السامية وذهب إلى أن جميع هذه القراءات كانت مشددة، أي : والعِصْرِ، وبالصَّبْرِ بمعنى أن النَّبَرَ عند بعض القبائل التي عَمِدَتْ إلى نقل الحركة قد انتقل إلى المقطع الأخير، أي أنهم عندما نقلوا النَّبَرَ إلى المقطع الأخير، شَدَّدُوا الصَّوْتَ الأخير ووقفوا عليه بالسكون مع التشديد، وتَوَهَّمَ النحويون، ولم يفطنوا لهذه الصفة، وظنّوها الوقف بالنقل فقط<sup>(١٨)</sup>.

ويمكن أن نحمل على هذا الحكم الذي أورده إبراهيم أنيس ما أورده السيوطبي في قوله تعالى : «وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطِرٌ»<sup>(١٩)</sup> وذلك في قراءة عصمة بن عروة عن عاصم بن أبي النجود الذي وقف على (مستطر) بالتضعيف والسكون وهو ليس من الوقف بالنقل

عند السيوطي، ولكنه من الوقوف على المضعف بالسكون (٢٠).

### ج - في الإشمام

أورد السيوطي بعض القراءات على نوع واحد من نوعي الإشمام وهو إشمام الحركات، أي إشمام حركة ما حركة أخرى وذلك كما في قوله تعالى : «وَغِيْضُ الْمَاءِ» (٢١). فقد ذكر قراءة مَنْ أَشْمَمْ كسرة (غِيْض) ضمة، وهي إحدى اللغات في هذا الباب. وحقيقة الإشمام هذا كما ذكر السيوطي هي ضم الشفتين بين حركتي الضم والكسر، والنطق بحركة متزجة منها (٢٢). ولم يورد السيوطي أمثلة من القراءات القرآنية على إشمام الأصوات الصحيحة أصواتاً صحيحة أخرى.

### د - إثمار أصوات الحلق للفتحة

تميل اللغة العربية إلى فتح الأصوات الحلقية. فهذه الأصوات تؤثر حركة الفتح، وبالتالي فإنَّ أصوات الحلق تؤثر في البنية الصوتية الكلمة أو النظام المقطعي فيها، حتى إنَّ الأصوات المجاورة لـأصوات الحلق قد تفتح في بعض اللهجات العربية وقد انتقل هذا التأثير من اللهجات العربية الفصيحة إلى القراءات القرآنية، ومن أمثلتها في اللهجات هذه الازدواجية في البناء الصوتي لبعض الكلمات التي تحتوي على أصوات الحلق، مثل : الشَّعْرُ و الشَّعَرُ و النَّهَرُ و النَّهَرُ و الظَّعْنُ و الظَّعَنُ وهذه الظاهرة مقيسة عند الكوفيين فيما عيُّنَه صَوْتُ حَلْقٍ، وأمَّا البصريون فلا يقيسونه بل هو عندهم مما جاء فيه لغتان (٢٣) ومن أمثلته من شواهد السيوطي قراءة بعض القراء : عَوَرَات بتحرير الواو وهي لهجة هَذِيل، ومنها أيضاً : (عَوَرَات النَّسَاءِ) (٢٤). في قراءة من فتح غير أن السيوطي لم يذكر تأثير أصوات الحلق في هاتين القراءتين (٢٥). والذي نريد ذكره في توجيه هذه القراءات أنَّ حروفَ الحلق في اللغات السامية جميعها تؤثر الفتح، بل إنَّ أثرها في هذه اللغات يمتدُّ إلى ما قبلها باطراد لافي أمثلة معينة مسموعة، ففي العربية مثلاً نجد كلمة : ruwāḥ بمعنى ريح أو روح (٢٦). والأصل فيها rūh ولكن صوت الحاء (h) الحلقى أثَّرَ في الصوت السابق فصار مفتوحاً، كما نجد في اللغة السريانية اسم الفاعل Pālah ومعناه : طَيِّبٌ أو صَالِحٌ، حيث الأصل فيه أن يكون على وزن (فاعِل)، كالعربية غير أنَّ الحاء فتحت الصوت السابق لأنَّه

من الحال أن نفتح الحاء بسبب ضياع الإعراب من آخرها، ولذا فقد امتنع وزن (فاعل) في هذا المقام، فلم يسمع من السريان (Pāleh) أو (Pālīh) بسبب وجود حرف الحلق<sup>(٢٧)</sup>.

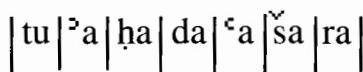
وقد ذكر إبراهيم أنيس أن تحريك الصوت الحلي أخف من تسكينه؛ لأن أصوات الحلق تحتاج إلى اتساع في مجريها في الفم، وليس هناك ما يعيق هذا المجرى من زوايا الفم، ولذلك ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعاً وهي الفتحة<sup>(٢٨)</sup>. وهذا التفسير العلمي الدقيق لم يتطرق إليه السيوطني بل اكتفى بعده لهجة، والسبب أن هذه الأمور التي أوردها أنيس إنما تحتاج إلى أجهزة علمية، وهذا مما لم يتوصل إليه إلا في العصر الحديث.

#### هـ - تحريك الساكن وتسكين المتحرك

وهو ما يمكن أن نطلق عليه اجتهاداً منا : إعادة الترتيب المقطعي؛ لأن أي حذف من أجزاء الكلمة أو إضافة إليها سيعيد بناء المقاطع الصوتية التي تشكل الكلمة بصورة تجعلها تختلف عما كانت عليه قبل حدوث الحالة الجديدة.

وقد أورد السيوطني بعض الأمثلة على هذه القضية الصوتية الفنولوجية فمثلاً إذا كانت كلمة (عشرة) في حالة الإفراد فإن الشين فيها ستكون مفتوحة، أي (a) (a<sup>۲</sup>) وهذا هو الأصل في هذه الكلمة، وأما إسكانها فلا يَتَمُ إلا في حالة كونها مركبة، ولا يَتَمُ هذا إلا في لغة الحجاز كما نصّ السيوطني عندما تحدث عن قوله تعالى : «أَنْتَ عَشْرَةُ عَيْنَاهُ»<sup>(٢٩)</sup> فقد قرئ بكسر الشين، وهي لغة تميم، أي ((a) (a<sup>۳</sup>)), وقرئ بفتحها رجوعاً إلى الأصل<sup>(٣٠)</sup>.

وفي قوله تعالى **﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾**<sup>(٣١)</sup> توالى كثير من المقاطع القصيرة المفتوحة على النحو التالي :-



إي أن سبعة مقاطع قصيرة تتابعت في نمط واحد، واللغة العربية تكره توالي هذا العدد من المقاطع على الرغم من وجوده فيها، ولذلك فهي تميل إلى التقليل من عددها، أو التخلص من تتابعتها عن طريق إلغاء بعض القيم الحركية فيها، ولذا فقد قرئ في الموضع السابق بتسكن العين فأصبح الترتيب المقطعي خفيفاً على الناطق، وذلك على النحو التالي:-

| tu | <sup>2</sup>a | ha | da | ša | ra |

فأصبح المقطع ( $<da$ ) = دُعْ فاصلًاً بين هذا العدد من المقاطع وهو ما أطلق عليه مصطلح التخفيف أو الحذف استثناءً (٣٢). ولا نكاد نجد من المعاصرين من غير في جوهرِ معنى هذا المصطلح، ولكن تحديه اقتضاناً أن نطلق عليه: إعادة الترتيب المقطعي.

وفي قوله تعالى : «فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ»<sup>(٣٣)</sup>. ذكر السيوطي مستشهاداً على ظاهرة سكون الهاء في (فَهُوَ) إذا سبق بمقطع آخر أنه قرئ في السبع (فَهُوَ) بسكون الهاء، كما قرئ بسكونها في «ثُمَّ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ»<sup>(٣٤)</sup> (بسكون الهاء أيضاً)<sup>(٣٥)</sup>. وهي قراءة مروية عن الحلواني وإسماعيل عن نافع والكسائي<sup>(٣٦)</sup>. والمواضع على هذه الظاهرة كثيرة في القراءات، ويمكن أن نعزز سبب التسكين فيها إلى توالى المقاطع القصيرة أيضاً، وبما أن اللغة تكره هذه الظاهرة فهي تميل إلى إعادة الترتيب المقطعي، ونمثل ذلك صوتياً كما يلي :-

fahuwa waliyyuhum فَهُوَ وَلِيُّهُمْ –  
 fa | hu | wa | wa fah | wa | wa  
\_tumma huwa ثمَّ هُوَ /  
\_tum | ma | hu | wa \_tum | mah | wa

وهذا لا يكون إلا في حالة الوصول، إذ لا يمكن إلغاء حركة هاء الضمير (هو) لأننا سننخفض في هذه الحالة نظاماً صوتيًا خاصاً بالعربية وهو النظام الذي لا يجيز الابتداء بالسakan.

#### و - تشديد الصوت الخفيف

ويُخُصُّ هذا الفرع النونَ في الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة التي تكون علامة

للتنبيه فيها، وذكر السيوطي أن تشديد هذه النون لم يُسمع سوى في تنبيه اسم الإشارة والاسم الموصول، وهو عوض من الحرف المذوق منها، أي : الألف في الإشارة والياء في الموصول إذ كان حقهما الإثبات كألف المقصور وياء المنقوص. وقد خصّ البصريون بها حالة الرفع، وقد ذهب ابن مالك الى ترجيح رأي الكوفيين، الذين أجازوه مع الألف والياء، واستشهد على هذا بقراءة التشديد في قوله تعالى : «فَذَانِكَ بُرْهَانَنَ»<sup>(٣٧)</sup> بتشديد نون (ذانك) وقوله : «وَاللَّذَانِ يَأْتِيَاهُنَا»<sup>(٣٨)</sup> بتشديد نون (اللذان) وقوله : «إِحْدَى ابْنَتَيْ هَاتِيْنَ»<sup>(٣٩)</sup>. وقوله : «أَرْنَا الَّذِينَ»<sup>(٤٠)</sup>. بتشديد النون في (هاتين) و (الذين) على التوالي، وقد تابعه السيوطي على هذا الترجيح ناقلاً هذه الشواهد<sup>(٤١)</sup>.

### ثانياً : ما يتعلّق بقوانين التطور اللغوی

#### ١ - المماثلة الصوتية Assimilation

ورد على ظاهرة المماثلة كثير من الشواهد من القراءات القرآنية وقد أطلق عليها السيوطي مصطلح الاتّباع في أغلب المواقع ومنها :

- في قوله تعالى : «الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»<sup>(٤٢)</sup>. أورد السيوطي قراءة (الحمد) بكسر الدال، وذكر أن هذا الكسر جاء إتباعاً لكسرة اللام في (الله)<sup>(٤٣)</sup>. فقد تمثلت ضمة (الدال) في (الحمد) مع كسرة اللام في (الله) بسبب المجاورة، فانقلبت الضمة إلى الكسرة، وبينهما فاصل وهو الصوت الصحيح (اللام) وبهذا تكون هذه المماثلة مماثلة كليةً مدبرةً منفصلةً.

كما أورد السيوطي في هذا الموضع الكريم نوعاً آخر من المماثلة ولكن في قراءة أخرى، وهو عكس هذه المماثلة التي اتجهت من اليمين إلى اليسار حيث تأثرت كسرة اللام بالضمة قبلها فانقلبت ضمة، أي (الْحَمْدُ لِلّهِ)<sup>(٤٤)</sup> أي أن المماثلة قد سارت من اليسار إلى اليمين، أي أن المماثلة مماثلة مقبلة كليةً منفصلة، فالفرق بينهما في الاتجاه فقط، وهو اتجاه معكوس. وقد حمل السيوطي النوع الأول (الْحَمْدُ لِلّهِ) على إبل، ووجه الشبه بينهما ضعيف، كما ذكر أن النوع الثاني (الْحَمْدُ لِلّهِ) أسهل من النوع الأول؛ لأنه إذا كان إتباعاً فأقيس الاتّباع أن يكون الثاني تابعاً للأول؛ لإنه جارٌ مجرى السبب والسبب، والسبب أسبق من السبب رتبةً، فتكون ضمة اللام تابعةً لضمة الدال، كما أن ضمة الدال في (الْحَمْدُ لِلّهِ) ضمة

إعراب، وكسرة اللام في (الله) كسرة بناء، وحركة الإعراب أقوى<sup>(٤٥)</sup>.

وهذه المسألة التي أشار إليها السيوطي مسألة جدلية، ذلك أن العلاقات الصوتية متبدلة، فقد تؤثر الحركة الأولى في الثانية، وقد تؤثر الحركة الثانية في الأولى والمؤثرة هي السبب والمؤثر فيها هي المسبب، أي أن التأثير يمكن أن يكون متبدلاً كما أن مسألة قوة الحركة في الإتباع وضعفها فيه مسألة منطقية جدلية، يمكن ردّها؛ لأنها ليست من اللغة في شيء.

ومن أمثلة تغيير الحركة الإعرابية بسبب الإتباع ما ورد من قراءة أبي جعفر المدنى : «إذا قلنا للملائكة اسجدوا»<sup>(٤٦)</sup>. حيث ضم التاء في (الملائكة) وحقها الجر بحرف الجر<sup>(٤٧)</sup>. حيث تأثرت الكسرة وهي كسرة إعراب تمثل حالة الجر لأنها مجرورة بالحرف بضم همزة الوصل تأثراً مدبراً كلياً متصلةً فانقلبت إلى ضمة. وقد أطلق السيوطي على هذه الظاهرة مصطلح : حركة الاقتران<sup>(٤٨)</sup>.

ونحن نعرف أن الأصل في ضمير الغائب المتصل أن يكون مضموماً، ولكنه يُكسر إذا جاء قبله كسرة قصيرة أو طويلة أو ياء، ومن الأمثلة التي ساقها السيوطي على هذا ما ورد في قوله تعالى : «لأهلِهِ امكثوا»<sup>(٤٩)</sup> فقد قرأ حمزة : لأهلِهِ بكسر اللام وضم الهاء، وهي قراءة ابن سعدون عن إسحاق المسمبي<sup>(٥٠)</sup>. والأصل الذي قرره السيوطي ومن سبق من النحوين هو الضم كقراءة حمزة ومن معه، وهو ما تؤيده الدراسات التاريخية الحديثة، وأما الكسر فقد تنتَج عن عملية المماثلة، حيث تأثرت الضمة بالكسرة التي بعد اللام، فانقلبت الضمة إلى كسرة، وعلى هذا فنوع التأثر هو التأثر المدبر الكلى المنفصل.

وكذلك في قراءة حفص (وما أنسانيه)<sup>(٥١)</sup>. بضم الهاء على الأصل وقراءة غيره بالكسر على هذا القانون، والأصل لغة الحجاز وقراءة حفص أيضاً في (بما عاهد عليه الله)<sup>(٥٢)</sup>. جاءت على الأصل وقراءة غيره بالكسر<sup>(٥٣)</sup>. وقد حدث ضم الميم في الضمير (هم) مماثلة مع ضمة الهاء، وعلل السيوطي ذلك بأن السكون أشهَر إذا وليها متحرك، والضم أشهَر إن وليها سakan<sup>(٥٤)</sup> وذلك كقوله تعالى (بِهِمُ الأَسْبَاب)<sup>(٥٥)</sup> في قراءة أكثر القراء حيث ضمُوا الميم مماثلة مع الهاء والمماثلة في هذا المثال مقبلة كلية منفصلة.

وهناك ظاهرة في المماثلة أطلق عليها عالمنا مصطلح هجوم الحركة على الحركة من غير

قياس، وذلك في حديثه عن قوله تعالى ﴿فَلَامَهُ اللَّهُ﴾<sup>(٥٦)</sup>. فلانكسار اللام قبل الهمزة صارت (فِلَامَهُ)، كسرها إشباعاً للكسرة قبلها. فهُجمت كسرة الإشباع على ضمة الإعراب في مثل (إِمْكَ) فابتَرَّيْها موضعها، وهذا بتعبيره شاذ لا يقاس عليه<sup>(٥٧)</sup>.

ومن الظواهر التي يمكن أن نحملها على الماثلة بعض قضايا الإدغام التي استشهد بها السيوطي على قضايا غريبة حقاً. ومنها ما يطلق عليه بين جمهور العلماء اسم تاءات البَزَّيِّ، وهي قراءة ابن أبي بزَّة وابن فليح عن ابن كثير بوصل الهاء في الكلمة الأولى بالتاء في الكلمة الثانية وتشديد هذه التاء، ومثال ذلك قراءة (عَنْهُ تَلَهِي)<sup>(٥٨)</sup>. بشد التاء و (مالكم لا تَنَاصِرُون)<sup>(٥٩)</sup> بتشديدها أيضاً<sup>(٦٠)</sup>. والأصل منها (تَلَهِي) و (تناصرون) فأدغم التاء في التاء وهذا لا يكون إلا في الوصل، وكان من المنتظر أن يطبق قانون الحذف بحذف إحدى التاءين. ومن الظواهر الغريبة ما يسمى بإدغام أبي عمرو بن العلاء في بعض الموضع ولم يحصل هذا الإدغام الذي أشار إليه السيوطي إلا بعد إلغاء بعض القيم الحركية، ومثال ذلك قراءته في قوله (سَنُلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّغْبَ بِمَا أَشْرَكُوا)<sup>(٦١)</sup>، بإدغام الباء في (الرُّغْبَ) بالباء في (بما)<sup>(٦٢)</sup>، وهذا لا يكون إلا بعد إلغاء الفتحة، فالحركة تمنع الإدغام، وربما كان من الأحسن أن نعلل ذلك بسقوط الحركة الإعرابية، وعندها يتلقى ساكن مع متحرك من المخرج نفسه فندغم أحدهما في الآخر.

ولعل حذف الحركة لا يكون بدرجة غرابة حذف الصوت الصحيح حتى يحصل الإدغام ففي قوله تعالى (لِمَنِ الْأَثْمَنِينَ)<sup>(٦٣)</sup> حذفت الهمزة فالنون الساكنة مع اللام المفتوحة فأدغمت فيها<sup>(٦٤)</sup>. فأصبحت كما يلي :-

لِمَنِ الْأَثْمَنِينَ < لِمَنِ الْأَثْمَنِينَ >

ولعل هذا المثال يبين لنا الطريقة التي تعامل فيها السيوطي والقدماء مع ظواهر الإدغام، وهو ما ورد في قوله تعالى (سَاحِرَانَ تَظَاهِرَا)<sup>(٦٥)</sup> في قراءة تشديد الظاء التي ذكرها السيوطي دون أن يَعْرُوهَا<sup>(٦٦)</sup> وعزّاها ابن خالويه إلى يحيى الذماري ولَحَنَ القارئ لأن الفعل ماضٍ. ولا تشدد هذه الظاء إلا في المضارع<sup>(٦٧)</sup>.

وإذا كان الأمر كما ذكره القدماء فإن الحق معهم، غير أننا حتى نلتمس وجهها لهذه القراءة الشاذة يجب أن نعرف أن اللغات السامية ما عدا العربية والآشورية قد

بدأت بالخلص من الحركة القصيرة في المقطع المفتوح فمثلاً كلمة (حكيم) في اللغة العربية تبدأ بمقاطع قصير وهو (h a) والحركة القصيرة في هذا المقطع هي المкроهة في اللغات السامية لذلك فقد تخلصت منها بعض هذه اللغات، فصارت في السريانية hak | ki | ma باغلاق المقطع عن طريق تشديد الصوت الذي يليه، أي (حَكِيْمًا)، وأما في العربية فقد أطّلوا هذه الحركة فصارت فتحة طويلة أي (hāhām) = حاخام.

ويبدو أن بعض اللهجات العربية قد جنحت إلى هذه الظاهرة التي وقفت نزول القرآن، فcameت بإغلاق المقطع القصير المفتوح عن طريق تشديد الصوت الذي يليه كما فعلت السريانية.

وبإضافة إلى هذه الأنواع من الأتباع فقد حدثنا السيوطي عن نوع آخر منه يلغى بعض الظواهر الإعرابية، فهناك إتباع إعرابي، كقوله تعالى (وجئت من سبباً بنبيّ يقين) حيث نون (سبباً)<sup>(٦٨)</sup> إتباعاً للفظ الذي بعدها (بنبيّ) وهي ممنوعة من الصرف، ومثله قراءة (إنا أعدتنا للكافرين سلسلأً وأغللاً وسعيراً)<sup>(٦٩)</sup> فقد قرأ نافع وعاصم في رواية والكسائي، سلسلأً في الوقف والوصل وهي قراءة الجمهور في الوصل<sup>(٧٠)</sup> فقد أتبع (سلسلأ) الممنوعة من الصرف تنوين (أغاللاً) والأصل فيها أنها ممنوعة من الصرف.

## ٢ - قانون الحذف

تكره اللغة العربية ما أطلق عليه توالي الأمثال، وهو اصطلاحنا مع شيء من التغيير الذي يناسب طبيعة الدرس اللغوي الحديث، فهو عندنا تتابع المقاطع المتماثلة ولذلك تقوم اللغة بالاستغناء عن أحد المقطعين المتماثلين. وقد أورد السيوطي بعض الأمثلة على هذا، مثل قول العرب : لتضررُبَنْ يا قوم ولتضربنَ يا هند فأصلها لتضربونَ ولتضربينَ، فحذفت نون الرفع لاجتماع الأمثال بتعبير السيوطي، كما حذفت هذه النون في قوله تعالى : «أتحاجوني»<sup>(٧١)</sup> كراهة اجتماعها مع نون الواقية<sup>(٧٢)</sup>. ومما يجدر ذكره أن قراءة تحفيق النون قراءة سبعية متواترة، لนาيف وابن عامر<sup>(٧٣)</sup>.

ومثل هذا الموضع أيضاً ما أورد من قراءة في قوله تعالى «فلا تناجوا»<sup>(٧٤)</sup> وهي قراءة الجمهور، وقد جاءت على حذف أحد المقطعين المتماثلين، إذ الأصل منها (فلا تتناجوا) فتوالي مقطعان متتشابهان وهما tata في أول الكلمة فحذف أحد المقطعين في قراءة

الجمهور، في حين أن قراءة عبد الله بن مسعود تتناجوا على الأصل<sup>(٧٥)</sup>. كما ذكر السيوطي مثلاً آخر على هذه الظاهرة وهو قراءة ابن محيصن (أنذرتهم) بهمزة واحدة<sup>(٧٦)</sup> في قوله (سواء عليهم أنذرتهم)<sup>(٧٧)</sup>.

### ٣ - القياس

دخل كثير من الأنماط اللغوية إلى اللغة العربية الفصحى نتيجةً لتطبيق الناطق بالعربية لقانون القياس، وربما كان وجهاً الشَّبَهَ متوهماً.

ولهذا فإن هذه الأنماط التي أطلق عليها القدماء مصطلح (التوهم) دخلت اللغة الفصحية وأصبحت من ألفاظها الأصلية، وقد نزلت بها بعض الآيات. ففي قوله تعالى ﴿لَتَخْذِلَنَا إِلَيْهِ أَجْرًا﴾<sup>(٧٨)</sup> حدثنا السيوطي أن هذا الموضع قرئ بتحفيف التاء، وذهب إلى أن قراءة التخفيف وقراءة التشديد بمعنى واحد غير أنه لم يتحدث عن كيفية وصول هذا الفعل إلى العربية الفصحى، واستعماله فيها جنباً إلى جنب مع صيغة (أفعى) التي اشتقت من الفعل (أخذ).

وحتى نصل إلى حقيقة هذا الفعل لابد أن نعرف أصله الثلاثي، وهو الفعل (أخذ) فإذا صُغنا منه وزن (افتuel) فإنه سيصبح (اتخذ)، ثم حذفت اللغة أحد المتماثلين، والحدف يوجب التعويض فعوضت المذوف عن طريق تشديد التاء، فأصبح (اتخذ) فحصل قياس على الأفعال التي تبدأ بتاء مثل (تبع) ووزن (افتuel) منه (اتبع) فإذا أعدناه إلى صيغته الثلاثية ستصير (تبع) وكذا حصل في (اتخذ) قياساً على (اتبع) فحدث عندنا فعل جديد وهو صيغة (اتخذ) التي استعملت جنباً إلى جنب مع الفعل الأصلي (أخذ).

### ٤ - المبالغة في التصويب Over Correction

ذكرنا سابقاً أن ظواهر التطور تتم تلقائياً، وقد يحدث في قياس شيء على شيء أن يتَوَهَّم القائم بعملية القياس وجود شبه ما بين المقيس والمقيس عليه فيعطي المقيس حكم المقيس عليه، وقد حدث قبل نزول القرآن بكثير أن اللهجة الحجازية استغنت عن الهمز في اللهجة المحكية، ولكن الفصحى عندما تشكَّلت، اتَّخذَت الْهَمْزَ شعاراً لها من اللهجات البدوية النجدية، ولذا فقد قام الحجازيون بإعادة الهمزات التي أسقطوها إلى أماكنها، ومن الطبيعي أن هذه الكلمات ستجرُّ معها كلمات غير مهمنة أصلاً، ولكنها تشبه الكلمات

التي خفت همزاتها من حيث الشكل الصوتي، مثل :

بأـس < بـاس > بـأس

(الأصل) ← (حجازية) ← عودة إلى الأصل

ناس نـاس نـاس

(الأصل) < (عـامة) > (حـجازـية مـقـيـسـة عـلـى بـأس)

ومن الأمثلة التي أوردها السيوطي على هذه الظاهرة ما ورد في قوله تعالى : « ولا  
الضـالـين »<sup>(٧٩)</sup> بهمز الألف<sup>(٨٠)</sup>، وهي قراءة أليوب السختياني<sup>(٨١)</sup> ومثل هذا الموضع ما ورد  
في قوله تعالى : « فيـوـمـئـذـ لا يـسـأـلـ عـنـ ذـنـبـهـ إـنـسـ ولا جـانـ »<sup>(٨٢)</sup> فقد قرأ عمرو بن عبيد : ولا  
جـأنـ بالـهمـز<sup>(٨٣)</sup>، وقد عـللـ السـيـوطـيـ والـقـدـماءـ هـذـاـ الـهـمـزـ بـأـنـ الـأـلـفـ الـمـسـبـوـقةـ بـفـتـحةـ قدـ  
تـهـمـزـ فـيـ لـهـجـةـ الـعـربـ كـمـاـ أـلـوـاـوـ الـمـسـبـوـقةـ بـضـمـةـ قـدـ تـهـمـزـ فـيـ هـذـهـ اللـغـةـ،  
وـيـسـتـشـهـدـونـ عـلـىـ هـذـاـ بـقـولـهـ تـعـالـىـ : « يـؤـقـنـونـ »ـ فـيـ قـرـاءـةـ أـبـيـ حـيـوةـ كـمـاـ ذـكـرـ السـيـوطـيـ  
وـابـنـ خـالـوـيـةـ<sup>(٨٤)</sup> غـيرـ أـنـ النـظـيرـ الـذـيـ سـاقـهـ السـيـوطـيـ لـمـ يـكـنـ مـوـفـقاـ فـيـ إـثـابـاتـ هـذـهـ النـظـرـيـةـ،  
فـالـهـمـزـ جـاءـ عـلـىـ إـعـطـاءـ الـوـاـوـ الـمـجاـوـرـ لـلـضـمـةـ حـكـمـ الـوـاـوـ الـمـفـتوـحـةـ، فـهـمـزـ كـمـاـ قـيلـ فـيـ  
وـجـوهـ : أـجـوهـ وـفـيـ وـقـتـ : أـفـتـتـ<sup>(٨٥)</sup> وـيمـكـنـ أـنـ نـحـمـلـ عـلـىـ هـذـاـ الـقـانـونـ قـصـاـيـاـ أـخـرىـ لـاـ تـتـعلـقـ  
بـالـهـمـزـ، كـقـضـيـةـ جـمـعـ المـذـكـرـ السـالـمـ، فـهـوـ يـرـفـعـ بـالـوـاـوـ وـيـجـرـ وـيـنـصـبـ بـالـبـيـاءـ، وـهـنـاكـ كـلـمـاتـ  
لـوـنـهاـ الـصـرـفـيـ جـمـعـ تـكـسـيرـ، أـوـ غـيرـ ذـلـكـ، وـلـكـنـهاـ تـنـتـهـيـ بـالـبـيـاءـ وـالـنـونـ، وـبـالـتـالـيـ فـقـدـ يـتـوـهـمـ  
غـيـرـ النـاطـقـيـنـ بـالـعـرـبـيـةـ، وـرـبـمـاـ بـعـضـ النـاطـقـيـنـ بـهـاـ أـنـهـاـ جـمـعـ مـذـكـرـ سـالـمـ، فـيـعـاـمـلـوـنـهاـ  
مـعـاـمـلـتـهـ، وـمـنـ هـذـهـ الـأـفـاظـ؛ فـلـسـطـيـنـ، وـبـرـيـنـ، وـنـصـيـبـيـنـ وـقـنـسـرـيـنـ، وـيـاسـمـيـنـ وـبـسـاتـيـنـ،  
فـقـدـ قـيلـ فـيـهاـ : فـلـسـطـيـنـ وـبـرـيـنـ وـنـصـيـبـيـنـ وـقـنـسـرـيـنـ، وـيـاسـمـونـ وـبـسـاتـونـ<sup>(٨٦)</sup>.

وـقـدـ عـدـ السـيـوطـيـ أـنـ هـذـاـ الـوـهـمـ جـاءـ تـشـبـيـهـاـ لـزـيـادـتـيـ التـكـسـيرـ فـيـهاـ بـزـيـادـةـ الـجـمـعـ  
الـسـالـمـ فـنـقـلـ إـلـإـعـرـابـ بـالـحـرـكـاتـ إـلـىـ الـبـعـيدـ، وـمـنـ هـذـاـ قـرـاءـةـ الـحـسـنـ الـبـصـرـيـ : « وـمـاـ تـنـزـلـتـ  
بـهـ الشـيـاطـنـونـ<sup>(٨٧)</sup> تـوـهـمـ أـنـ الشـيـاطـنـيـنـ جـمـعـ مـذـكـرـ سـالـمـ فـعـاـمـلـهـاـ مـعـاـمـلـتـهـ<sup>(٨٨)</sup>ـ.

## ٥ - تـخـيـفـ الـهـمـزـ وـإـلـغـاؤـهـ وـإـعادـةـ تـرـتـيبـ الـمـقـاطـعـ الـصـوـتـيـةـ :

ذـكـرـنـاـ فـيـ الـقـانـونـ السـابـقـ أـنـ الـحـجازـيـنـ تـخـلـصـوـنـ مـنـ النـبـرـ أـوـ الـهـمـزـ فـيـ لـهـجـتـهـ الـمـحـكـيـةـ

وأن العربية الفصحى قد اختارت الهمز من ظواهرها، ومع هذا فقد كان الحجازيون لا يهمزون وقد نزلت بعض القراءات المتواترة غير مهموزة، وبعض القراء من أصحاب الشواذ كانوا لا يهمزون باختيارهم، وعندما درس العلماء هذه الظواهر درسوها على أنها شواهد لغوية مقبولة سواء كانت متواترة أم لا وقد ذكر السيوطي بعض هذه القراءات تحت باب أنواع الحركات، فذكر من أنواع الحركات حركة النقل، فمثلاً الأصل في (قد) أن تكون مبنيةً على السكون ولكن في قوله تعالى : «قد أفلح المؤمنون»<sup>(٨٩)</sup> حذف ورش همزة (أفلح)<sup>(٩٠)</sup> وبقيت حركتها، فظن السيوطي ومن رأى هذا الرأي أن الحركة قد انتقلت إلى (قد) والحقيقة أن الذي حصل هو إعادة ترتيب المقاطع على النحو التالي :-

Kad   > af   La   ha	١ - الأصل
Ka   daf   La   ha	٢ - بعد حذف الهمزة

وبقي عدد المقاطع ثابتاً ولكن تَغَيِّرَ تَرْتِيُّبُها بسبب حذف الهمزة. ومثل هذا المثال ما أورده السيوطي في الموضع نفسه في حديثه عن حركة النقل في قراءة من حذف الهمزة في قوله تعالى «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»<sup>(٩١)</sup> حيث قرأت (ألم تعلم ان) بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى الميم المجزومة<sup>(٩٢)</sup> ونذهب في هذا الموضع إلى ما ذهبنا إليه في الموضع السابق، إذ حذفت الهمزة فقط ولم تنقل حركتها، والذي حدث هو إعادة لترتيب المقاطع الصوتية على النحو التالي :-

ta<  Lam  > an   na   Lā   ha	١ - الأصل
ta<  La   man   nal   Lā   ha	٢ - بعد حذف الهمزة

حيث حدث امتزاج في المقاطع الصوتية.

وقد يُحدِّث حذف الهمزة تغييرات كثيرةً في بنية بعض الكلمات، وفي ترتيب مقاطعها لقراءة من قرأ (قالوا لأن جئت بالحق)<sup>(٩٣)</sup> وهي قراءة ورش حذف همزة (الآن)<sup>(٩٤)</sup> فتغير ترتيب المقاطع الصوتية كذلك، ونمثله بالمخطط الصوتي التالي :-

Ka   Lul   > á   na	١ - الأصل
Ka   Lu   Lā   na	٢ - بعد حذف الهمزة

حيث سقطت الهمزةُ من المقطعِ الثالثِ فقط وتحوّلَ المقطعُ الثاني من النوعِ القصير  
المغلق إلى المقطعِ الطويلِ المفتوحِ.

ووصف السيوطي قراءة الجمhour (قالوا الآن) بأنها القراءة القوية لأن الحركة عارضة  
للتحقيق وأما قراءة ورش فهي لغة<sup>(٩٥)</sup>.

وأكثر من هذا التغيير في ترتيب المقاطع ما أورده في قراءة الكسائي (بما أنزلَك) في قوله  
(بما أنزلَ إليك)<sup>(٩٦)</sup>، وذكر السيوطي أن القياس هو أن تجعل الهمزة بينَ بين، ولكنه حذف  
الهمزة حذفاً وألقى كسرتها على لام (أنزل) وقد كانت مفتوحة فغلبت الكسرة الفتحة على  
الموضع<sup>(٩٧)</sup> وأما تحليلنا الصوتي لها فيتم على النحو التالي :

- ١ - الأصل      bi | ma | > an | za | La | > i | Lay | Ka  
 ٢ - بعد حذف الهمزة      bi | ma | > an | zaL | Lay | Ka

فالذي حدث أن الكسائي حذف الهمزة وحركتها وأدغم اللام في اللام، أي أن المقطع  
القصير المفتوح (za) أصبح قصيراً مغلقاً (zal) وحذف المقطع القصير المفتوح (i) >  
فأعيد ترتيب المقاطع فأصبح (zal / Lay)

#### ٦ - قانون تطور الأسماء المعتلة :

إن المتابعة التاريخية للأسماء المعتلة تثبت لنا أن الأصل في الأسماء المعتلة إنها كانت  
صحيحة ثم تجاوزت هذه المرحلة إلى مراحل أخرى حتى وصلت إلى مرحلة الاعتلال أو ما  
يسمى في علم اللغة التاريخي (مرحلة الفتح الخالص) فامرحلة الأولى لكلمة (فتى) مثلاً  
ستكون : فتى | ta | yu وأما المرحلة الثانية فهي مرحلة ضياع الحركة بعد الياء  
وأما المرحلة الثالثة فهي مرحلة انكماش الصوت المركب (ay) حيث يصبح  
Fatay (Fa tē) وهذه المرحلة هي المرحلة التي وصل إليها نطق البدو في نجد، وأما المرحلة الأخيرة  
التي وصلت إليها لغة حاضرة الحجاز<sup>(٩٨)</sup>، فهي مرحلة الفتح الخالص Fatā وعلى هذا  
يمكن أن نوجه موضعًا مشكلًا من القرآن الكريم، وهو الموضع الذي احتمن النقاش حوله  
لدى السابقين، فقد نقل إلينا أن أحد القضاة سأل أبا الحسن محمد بن أحمد بن كيسان  
النحوي؛ ما وجوه قراءة من قرأ (إنَّ هذان لساحران)<sup>(٩٩)</sup> فأطرق ملياً ثم قال : نجعلها مبنية  
لامعربة، وقد استقام الأمر، قال : فما علة ببنائهما؟ قال : لأن المفرد منها (هذا) وهو مبني،

والجمع (هؤلاء) وهو مبني، فتحمل التثنية على الوجهين، فأعجب القاضي ذلك، وقال : ما أحسنـه لو قال به أحد فقال ابن كيسان : ليقل به القاضي وقد حسن (١٠٠).

ومع أن هذا الحل قد أعجب القاضي إلا أنها لا نراه الحل لهذا الموضع المشكل لأن مواضع أخرى غيره وردت معربة في كتاب الله وغيره من الكلام العربي، ويمكن أن نحمل هذا الموضع على المرحلة الثانية من مراحل تطور الأسماء المُعْتَلَةِ. فـ(هذين) تحتوي على الحركة المركبة (ay)، أي : *hādayn* وهذه الحركة المركبة انكمشت في نطق بعض القبائل ووصلت إلى المرحلة الثالثة، وهي مرحلة القبائل النجدية *hādēn* ثم انتقل هذا النمط إلى المرحلة الأخيرة، وهي مرحلة الفتح الخالص فأصبحت *hādān*.

### - ٣ - ألقاب اللهجات العربية : -

استشهد السيوطي على ألقاب اللهجات العربية في ثلاثة مواضع : ففي قوله تعالى : «**فإنهم يألون كما تألون**»<sup>(١٠١)</sup> ذكر أنه قرئ يتألمون كما تتألمون<sup>(١٠٢)</sup> وقد استشهد السيوطي بهذه القراءة على جواز كسر الياء مطلقاً في أول الفعل المضارع<sup>(١٠٣)</sup> وهو ما نطلق عليه لقب التللقة الذي لم يفسره السابقون سوى أنهم قالوا إنه كسر أوائل حروف المضارعة وهو عَيْبٌ من عيوب لهجة بهراء.

وفي قوله تعالى : «**فتول عنهم حتى حين**»<sup>(١٠٤)</sup> و«**ليسجننه حتى حين**»<sup>(١٠٥)</sup> قرأ عبد الله بن مسعود : عَتَّي حين<sup>(١٠٦)</sup> وتعرف هذه الظاهرة بفتح حة هذيل، وهي لغة عند السيوطي وغيره، ولم يول السيوطي هذه الظاهرة عناية صوتية، ولكنه ذكر أن عمر بن الخطاب كتب إلى عبد الله بن مسعود إن الله أنزل القرآن عربياً وأنزله بلغة قريش فلا تقرئ الناس بلغة هذيل<sup>(١٠٧)</sup> وقد ذهب رابين Rabin<sup>(\*)</sup> إلى أن (عَتَّي) الهذيلية منحوتة من (حتى) العربية وعَدَ الموجودة في السبيئية<sup>(١٠٨)</sup>.

وفي قوله تعالى : «**قل أَعُوذ بِرَبِّ النَّاسِ**»<sup>(١٠٩)</sup> قرئ **قل أَعُوذ بِرَبِّ النَّاتِ** بالباء واستشهد بهذه القراءة على أنها نظير لـ**بِإِبْدَالِ سِينِ** (سيما) تاء ولم يذكر اسم الظاهرة أو تفسيرها<sup>(١١٠)</sup> وقد ذكر ابن خالويه أن (النَّاتِ) بالباء لغة لقضااعة<sup>(١١١)</sup> وهذا ما نعرفه في ألقاب اللهجات بظاهرة الوتم؛ وهو لقب يعزى إلى اليمن أيضاً. وقد ذهب الأستاذ إبراهيم أنيس إلى أن المبرر الصوتي لانقلاب السين تاء هو التماثل في المخرج وكونهما صوتين مهمّوسين<sup>(١١٢)</sup>.

#### ٤ - في الإبدال الصوتي :-

في حديث السيوطي عن (ألا) ذكر لغة فيها، وهي قلب الهمزة هاء وذكر أنه قرئ (هلا يسجدوا الله)<sup>(١١٣)</sup> بالهاء، وهو إبدال مفسر أيضاً فالهاء والهمزة كلاهما صوت حنجرى مهتوب ويمكن أن يبدل أحدهما من الآخر.

وتحدث عن إبدال الثاء فاء فقال : «أقول قد صارت لي بكمًا وسيلة فوسعاً لي في الجَدَث، إن شئتما بالثاء وإن شئتتما بالفاء، فإن إحداهما تبدل من الأخرى كما قالوا مغاثير ومغافير، وأثنائي وأفافي وفوم وثوم، وكيف تقرآن رحمة الله هذه الآية «وثومها وعدسها»<sup>(١١٤)</sup> بالثاء كما في مصحف عبد الله بن مسعود أم بالفاء كما في قراءة الناس»<sup>(١١٥)</sup> وتفسير هذا الموضع كتفسير الموضع السابق وهو أن التقارب في المخرج هو الذي سَوَّغَ هذا الإبدال.

## المراجع والمصادر

- \* إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية – القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٣ (١٩٦٥ م).
- \* الدكتور أحمد نصيف الجنابي، ملامح من تاريخ اللغة العربية، بغداد، دار الرشيد (١٩٨١ م).
- \* ابن الجزري، محمد بن محمد (ت ٨٢٢ هـ)، النشر في القراءات العشر، نشره علي محمد الضباع، بيروت، دار الفكر (د.ت.).
- \* ابن جني، أبو الفتح (ت ٣٩٢ هـ).
  - سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دمشق، دار القلم، (١٩٨٥ م).
- \* المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للقدسات الإسلامية، القاهرة، (١٩٦٩ م).
- \* أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، البحر المحيط، مطبع النصر الحديثة بالرياض، (١٩٨٣ م).
- \* ابن خالويه، (ت ٣٧٠ هـ) مختصر في شواذ القراءات نشره المستشرق برجشتراسر، دار الهجرة، بيروت (د.ت.).
- \* خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين ط ٨ (١٩٨٩).
- \* الدمياطي، البنا. (ت ١١١٧ هـ) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، نشره الدكتور شعبان إسماعيل، عالم الكتب بيروت، ط ١ (١٩٨٧).
- بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٩٨٨ م).
- فصول في فقه العربية، القاهرة مكتبة الخانجي، (١٩٨٧ م).
- قواعد السامييات، القاهرة، مكتبة الخانجي (١٩٨٣ م).
- \* الزمخشري، أبو القاسم (ت ٥٣٧ هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل، بيروت، دار المعرفة (د.ت.).

- \* ابن زنجلة، أبو زرعة (؟) حجۃ القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٤ (١٩٨٤ م).
- \* سيبويه، أبو بشر (ت ١٨٠ هـ)، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون عالم الكتب، بيروت (د.ت) مصور عن طبعة الهيئة العامة بالكتاب، القاهرة.
- \* السيرافي، أبو سعيد، إدغام القراء، تحقيق محمد علي الرديني مكتبة الشباب، القاهرة (١٩٨٤ م).
- \* السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١ هـ).  
- الإنقان في علوم القرآن، بيروت، دار المعرفة، (د.ت).
- الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٩٨٤ م).
- همم الهوامع شرح جمع الجواجم، تحقيق عبد العال سالم مكرم، الكويت ١٩٧٩-١٩٨٠ م.
- \* العكبرى، أبو البقاء، إملاء ما مَنَّ به الرحمن في وجوه الإعراب والقراءات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١ (١٩٧٩ م).
- \* علي العناني وأخرون، الأساس في الأمم السامية ولغاتها وقواعد اللغة العربية وأدابها، القاهرة ١٩٣٥ م.
- \* ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف (د.ت).
- \* مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها تحقيق الدكتور محبي الدين رمضان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١ م.
- \* نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠ م.

## الهوامش

- (١) خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين / بيروت ط ٨ / ٤، ١٩٨٩ / ٣٠٢.
- (٢) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الفكر، بيروت (د.ت) ١ / ٩ وانظر: السيوطى، الاتقان في علوم القرآن ١ / ٩٩.
- (٣) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ١ / ١٣.
- (٤) سيبويه، (ت. ١٨ هـ)، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت (د.ت) ٣١٦ / ٣.
- (٥) سورة طه الآية : ٧٧.
- (٦) مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧)، الكشف عن وجوه القراءات السبع، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٩٨٥ م) ٢ / ١٠٢.
- (٧) سورة يوسف الآية : ٩٠.
- (٨) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢ / ٢٩٧.
- (٩) جلال الدين السيوطى، همع الهوامع، تحقيق عبد العال مكرم - مطبعة حكومة الكويت (١٩٨٠)، ١ / ١٧٩..
- (١٠) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، مطبع النصر الحديثة بالرياض (١٩٨٣) ٥ / ٤٣٢.
- (١١) سورة العصر، الآية : ١.
- (١٢) السيوطى، همع الهوامع ٦ / ٢١١ وانظر ابن مجاهد، السبعة، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ص ٦٩٦.
- (١٣) سورة العصر، الآية : ٣.
- (١٤) السيوطى، همع الهوامع ٦ / ٢١٠ وابن مجاهد، السبعة ص ٦٩٦.
- (١٥) آل عمران : الآية ١٥١.

- (١٦) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط : ٢ / ٧٧. وانظر : ابن زنجلة، حجۃ القراءات : ١٧٦.
- (١٧) علي العناني، الأساس في الأمم السامية ولغاتها وقواعد اللغة العربية وأدابها القاهرة ٩٧ (١٩٣٥) ص ٩٧ والدكتور رمضان عبد التواب، في قواعد السامييات، مكتبة الخانجي - القاهرة (١٩٨٢) ص ٣٢-٣٣.
- (١٨) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط ٢ (١٩٦٥)، ص ١٤٩-١٤٨.
- (١٩) سورة القمر الآية : ٥٣.
- (٢٠) السيوطي، همع الهوامع ٦ / ٢٠٩، وذكر ابن خالويه أن قراءة عصمة هي : مستطرٍ، انظر مختصر في شواذ القرآن، نشره برجشتراسر دار الهجرة (د.ت) ص ١٤٨.
- (٢١) سورة هود، الآية : ٤٤.
- (٢٢) السيوطي، همع الهوامع ٦ / ٣٨-٤٠.
- (٢٣) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٦ / ٣٥٢.
- (٢٤) سورة النور، الآية : ٤١.
- (٢٥) السيوطي، همع الهوامع ١ / ٧٣ وهي قراءة عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، انظر ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص ١٠٣.
- (٢٦) الدكتور رمضان عبد التواب، في قواعد السامييات، ص ١٩.
- (٢٧) المرجع نفسه ص ٢٤٢.
- (٢٨) الدكتور إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص ١٧٠.
- (٢٩) سورة البقرة الآية : ٦٠، سورة الأعراف الآية : ١٦٠.
- (٣٠) السيوطي، همع الهوامع ٥ / ٣١٢ وانظر : العكברי (ت ٦٦٦)، إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٩٧٩)، ١ / ٣٩.
- (٣١) سورة يوسف، الآية : ٤.

- (٣٢) السيوطي، همع الهوامع ٣١٢ / ٥.
- (٣٣) سورة النحل، الآية : ٦٣ .
- (٣٤) سورة القصص، الآية : ٦١ .
- (٣٥) السيوطي، همع الهوامع ٢١٠ / ١ .
- (٣٦) ابن زنجلة، أبو زرعة، حجة القراءات تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة –  
بيروت، ط ٤ (١٩٨٤) ص ٥٤٨ .
- (٣٧) سورة القصص، الآية : ٣٢ .
- (٣٨) سورة النساء، الآية : ١٦ .
- (٣٩) سورة القصص، الآية : ٢٧ .
- (٤٠) سورة فصلت، الآية : ٢٩ .
- (٤١) انظر ابن هشام أوضح المسالك ٩٩ والسيوطى، همع الهوامع ١٦٦ وانظر:  
العكربى : إملاء ما من به الرحمن ١٧١ و ١٧٧ و ٢ / ٢ و ١٧٨ .
- (٤٢) سورة الفاتحة، الآية : ٢ .
- (٤٣) السيوطي، الأشباه والنظائر ١٥ / ٣ و ٦٥ و همع الهوامع ١ / ٦٠ .
- (٤٤) السيوطي، الأشباه والنظائر ١٣ / ١ و همع الهوامع ٣ / ٥٤ .
- (٤٥) السيوطي، الأشباه والنظائر ١٦ / ١٦-١٧ .
- (٤٦) سورة البقرة، الآية : ٣٤ .
- (٤٧) السيوطي، الأشباه والنظائر ٣ / ٦٥ و همع الهوامع ١ / ٦٠ وانظر: ابن خالويه،  
مختصر في شواد القرآن ص ٣ .
- (٤٨) السيوطي، الأشباه والنظائر ٣ / ٦٥ .
- (٤٩) سورة طه الآية : ١٠ .
- (٥٠) السيوطي، همع الهوامع ١ / ٢٠٢ وانظر ابن مجاهد، السبعة، ص ١٧ .

- (٥١) سورة الكهف، الآية : ٦٣.
- (٥٢) سورة الفتح، الآية : ١٠.
- (٥٣) السيوطي، همع الهوامع ٢٠٢ / ١.
- (٥٤) السيوطي، همع الهوامع ٢٠٤ / ١.
- (٥٥) سورة البقرة، الآية : ١٦٦.
- (٥٦) سورة النساء، الآية : ١١.
- (٥٧) السيوطي، الأشباه والنظائر ٢٠٥ / ١.
- (٥٨) سورة عبس، الآية : ١٠.
- (٥٩) سورة الصافات، الآية : ٢٥.
- (٦٠) السيوطي، همع الهوامع، ٦ / ١٧٧ وابن مجاهد، السبعة ص ٦٧٣.
- (٦١) سورة آل عمران، الآية : ١٥١.
- (٦٢) السيوطي، همع الهوامع، ٦ / ٢٨٤ وانظر السيرافي، ادغام القراء تحقيق محمد الرديني ص ٣.
- (٦٣) سورة المائدة، الآية : ١٠٦.
- (٦٤) السيوطي، الأشباه والنظائر ٣ / ٥٩ وانظر ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن ص ٣٥.
- (٦٥) سورة القصص، الآية : ٤٨.
- (٦٦) السيوطي، همع الهوامع ١ / ١٧٦.
- (٦٧) ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن ص ١١٣.
- (٦٨) سورة النمل، الآية : ٢٢.
- (٦٩) سورة الإنسان، الآية : ٤.
- (٧٠) الأشباه والنظائر ١ / ١٨-١٩ وانظر ابن مجاهد، السبعة ص ٦٦٢.

- (٧١) سورة الأنعام، الآية : ٨٠.
- (٧٢) السيوطي، الأشباه والنظائر ١ / ٢٥.
- (٧٣) ابن مجاهد، السبعة، ص ٢٦١.
- (٧٤) سورة المجادلة، الآية : ٩.
- (٧٥) السيوطي، الأشباه والنظائر، ١ / ٣٢-٣٣ وانظر ابن خالويه مختصر في شواد القرآن ص ١٥٣.
- (٧٦) الأشباه والنظائر ١ / ٤٩-٥٠ وهي قراءة الزهري أيضاً انظر . ابن جنى المحتب في تبيين وجوه شواد القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي (القاهرة ١٩٦٩ م) ٢ / ٢٠٥.
- (٧٧) سورة يس، الآية : ١٠.
- (٧٨) سورة الكهف، الآية : ٧٧.
- (٧٩) الفاتحة : ٧.
- (٨٠) السيوطي، همع الهوامع : ٦ / ١٧٧.
- (٨١) ابن خالويه، مختصر في شواد القرآن، ص ١.
- (٨٢) الرحمن : ٣٩.
- (٨٣) السيوطي، همع الهوامع : ٦ / ١٧٧، وانظر مختصر في شواد القرآن، ص ١٥.
- (٨٤) السيوطي، الأشباه والنظائر : ١ / ١٧٨، ومختصر في شواد القرآن، ص ٢.
- (٨٥) السيوطي، الأشباه والنظائر : ١ / ١٧٨، وانظر : ٤ / ٢٢٣.
- (٨٦) أبو علي الفارسي، المسائل العضديات، تحقيق شيخ الراشد، دمشق (١٩٨٦ م)، ص ١٢٣.
- وانظر ابن جنى، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دمشق (١٩٨٥ م)، ص ٦٢٤-٦٢٥.

. ٢١٠) الشعراء : ٨٧)

(٨٨) السيوطي، همع الهومامع ١ / ٦٠ وهي قراءة الأعمش أيضاً، انظر ابن خالويه،  
مختصر في شواد القرآن، ص ١٠٨.

. ١) المؤمنون :

(٩٠) السيوطي، همع الهومامع ١ / ٦٠، وانظر البنا الدمياطي إتحاف فضلاء البشر :  
. ٢٨١ / ٢

. ١٠٦) البقرة :

. ٦٠ / ١) السيوطى، همع الهومامع :

. ٧١) البقرة :

(٩٤) السيوطي، الأشباء والنظائر : ١ / ٣٠ وانظر ابن خالويه، مختصر في شواد القرآن،  
ص ٧.

. ٣٠ / ١) السيوطى، الأشباء والنظائر :

. ١٦٦) آل عمران :

. ٢٠٥ / ١) السيوطى، الأشباء والنظائر :

(٩٨) الدكتور رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط ٢  
. ٢٤٩ - ٢٥٠) م)، ص ١٩٨٨)

(٩٩) طه : ٦٣، وهي قراءة معظم السبعة، انظر مكي بن أبي طالب، الكشف : ٢ / ١٠٠  
وابن مجاهد، السبعة، ص ٤١٩.

. ٢١٤ / ٣) السيوطى، الأشباء والنظائر :

. ١٠٤) النساء :

(١٠٢) السيوطي، همع الهومامع ٦ / ٣٤، والزمخشري، الكاف الشاف عن حقائق التنزيل،  
بيروت، دار المعرفة (د.ت) ١ / ٥٦١

- (١٠٣) السيوطي، همع الهوامع : ٦/٣٤.
- (١٠٤) الصفات : ١٧٤.
- (١٠٥) يوسف : ٣٥.
- (١٠٦) ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن ص ٦٢، والسيوطى : همع الهوامع : ٤/١٦٨ و ٤/١٧٢.
- (١٠٧) السيوطي، همع الهوامع : ٤/١٦٨، وانظر ابن جني المحتسب، ١/٣٤٣.
- (\*) Rabin, C. مستشرق انجليزي معاصر عنى باللغة العربية الفصحى والعبرية القديمة، وله مؤلفات كثيرة في اللغات السامية. انظر : المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة (١٩٨٠م). ٢/١٢٠-١٢١.
- (١٠٨) الدكتور رمضان عبد التواب، حصول في فقه العربية، ص ١١٩، والدكتور أحمد نصيف الجنابي، ملامح من تاريخ اللغة العربية، بغداد (١٩٨١م)، ص ٢٨.
- (١٠٩) الناس : ١.
- (١١٠) السيوطي، همع الهوامع : ٣/٢٩٥.
- (١١١) ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص ١٨٣.
- (١١٢) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص ١٠٧.
- (١١٣) النمل : ٢٥، وانظر السيوطي، همع الهوامع : ٤/٣٦٧.
- (١١٤) البقرة : ٦١، وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس، وانظر ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص ٦.
- (١١٥) السيوطي، الأشباه والنظائر : ٤/٢٢٤-٢٢٥.